الفصل الثانى

لم يكن كل اليهود بنى قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع... إلخ

- قائمة بوفد الخزرج الذى التقى بالنبى عند العقبة
- قوائم مختلفة لاستخلاص أسماء اليهود العرب الذين آزروا الإسلام
- الظروف السياسية وبشاعة الهجمة الصهيونية ودورها فى إغفال الحقائق التاريخية
- نماذج من التاريخ الحديث
- الدليل الأنثروبولوچى
- مناقشة مسألة بنى قريظة
- التفسير الاقتصادى
- من أسلم من بنى قريظة .

obeikandl.com

obeikandl.com

توجه النبى المصطفى ﷺ عند هجرته إلى المدينة، وقبل ذلك عند استقبال وفودها فى مواسم الحج فى مكَّة إلى الدين الآخر ـ إلى اليهودية. لقد توجه إلى يهود (بدون ألف ولام) أى إلى اليهود الذين يعتقدون أنهم من بنى إسرائيل، وإلى العرب اليهود الذين شاب يهوديتهم شىء من الوثنية كما شاب يهودية اليهود الآخرين. هؤلاء اليهود هم الذين رحبوا بالنبى ﷺ ودعوه للمدينة، ووعدوه بالمؤازرة. هذه الحقائق واضحة تمام الوضوح فى السيرة النبوية لابن إسحاق والتى هذَّبها ابن هشام، وهى متداولة بين الناس، وليس لنا من دور سوى إعادة ترتيب الأوراق، ولفت الأنظار لحقائق غيَّبتها ظروف خاصة وغيَّبها ما لحق بالبلدان العربية والإسلامية من أذى على أيدى اليهودية المسيَّسة (الصهيونية).

وسندل القارئ على قوائم لمقارنتها معًا منها قائمتان سبق أن أوردناهما فى الفصل السَّابق:

(١) قائمة بعشائر اليهود العرب كما ذكرهم النبى ﷺ برواية ابن إسحاق مشفعين بها قائمة بعرب يهود آخرين جمعهم فضيلة شيخ الأزهر من مصادر مختلفة [طنطاوى، بنو إسرائيل، ص٣٢٨]. ومفهوم أننا نقصد عشائر اليهود العرب الذين كانوا فى المدينة عند هجرة النبى ﷺ إليها.

٢ـ قائمة بعشائر يهود (أى الذين يدعون أنهم من بنى يعقوب، وليسوا عربًا) وعشائر اليهود العرب كما أوردها ابن هشام عن ابن إسحاق، وذلك للتمييز بين عشائر يهود، وعشائر العرب اليهود (راجعها فى سياق حديثنا عن غزوة بدر).

٣ـ قائمة بوفد الخزرج الذى التقى بالنبى ﷺ عند العقبة. [ابن هشام، جـ٢ ص ص ٢٨٦ـ٢٨٨]، لمقارنتها بقائمة العرب اليهود، لنكتشف أنَّ الذين بايعوا نبينا ﷺ عند العقبة أوّل مرة كان غالبيتهم ـ إن لم يكن كلهم ـ من اليهود العرب.

٤ـ قائمة بيعة العقبة الأولى، لمقارنتها بقائمة القبائل أو العشائر العربية اليهودية.

وفيما يلى هذه القوائم والتعليق عليها:

قائمة بأسماء عشائر اليهود العرب فى المدينة

كما وردت فى كتاب النبى ﷺ عند وصوله للمدينة

[ابن هشام، جـ ٣، ص ص٣٤ـ٣٥].

١ـ يهود بنى عوف.

٢ـ يهود بنى النجار.

٣ـ يهود بنى الحارث.

٤ـ يهود بنى ساعدة.

٥ـ يهود بنى جشم.

٦ـ يهود بنى الأوس.

٧ـ يهود بنى ثعلبة.

٨ـ يهود بنى الشُّطبيّة.

ملحوظة: مفهوم أن (الألف واللام) حذفت للإضافة أما إن قيل يهود فقط فالمقصود اليهود غير العرب.

وقد أوردنا عند حديثنا عن غزوة بدر جانبًا من نص كتاب رسول الله ﷺ الذى يشتمل على أسماء هذه العشائر اليهودية. [ابن هشام جـ ٣ ص ص ٣١ـ٣٥].

***

ويعدد لنا فضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوى عشائر يهودية خارج المدينة، منهم يهود عرب، لم يحاربوا الرسول ﷺ، ولم يحاربهم الرسول ﷺ.

ـ فلم يكلّف **يهود البحرين** إلاّ بدفع الجزية.

ـ ورضى من **يهود بنى غازية** بأن يدفعوا الجزية ولهم الذمة.

obeikandl.com

ـ ورضى مثل ذلك من **يهود بنى عريض**.

ـ وأوصى النبى ﷺ معاذ بن جبل بألا يفتن يهود اليمن عن يهوديتهم.

ـ وصالح يهود مقنى وبنى حنينة على ربع ثمارهم. ويضيف الشيخ الجليل أن الرسول ﷺ ردَّ صحائف التوراة ليهود خيبر [طنطاوى، ص ٣٢٨].

وفد الخزرج الذى التقى بالنبى ﷺ عند العقبة [ابن هشام جـ٢، ص ٢٧٦ـ٢٧٨]

من بنى النجار (وهو تيم الله):

١ـ أسعد بن زرارة بن عُدَس بن مالك بن النجار (أبو أمامة).

٢ـ عوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غُنْم بن مالك بن النجار (ابن عفراء/ وهى أمه).

ومن بنى زريق...بن جُشم بن الخزرج:

١ـ رافع بن مالك بن العجلان. . . بن زريق.

ومن بنى سلمة بن سعد.. بن جشم بن الخزرج:

١ـ قطبة بن عامر. . بن حديدة.

ومن بنى حرام بن كعب بن غنم.. بن سلمة:

١ـ عقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام.

ومن بنى عبيد بن عدى.. بن سلمة:

١ـ جابر بن عبد الله بن رئاب بن سنان بن عبيد.

ولم يستغرق حوارهم مع النبى ﷺ طويلا؛ إذ سرعان ما آمنوا برسالته، بالإضافة لإدراكهم ما فيها من منافع لهم. ولهذا دلالاته.

***

obeikandl.com

بيعة العقبة الأولى

(اليهود العرب يبايعون محمداً ﷺ)

وفى العام التالى لمقابلة وفد الخزرج قابل النبى ﷺ فى العقبة أيضا (بيعة العقبة الأولى) ١٢ رجلاً من المدينة هم:

من بنى النجار:

١ـ أسعد بن زرارة بن عُدَس بن مالك بن النجار (أبو أمامة).

٢ـ عوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد (ابن عفراء).

٣ـ معاذ (أخوه).

ومن بنى زريق بن عامر:

١ـ رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق.

٢ـ ذكوان بن عبد قيس.. بن عامر بن زريق.

ومن بنى عوف بن الخزرج ثم من بنى غَنم بن عوف بن عمرو بن عوف من الخزرج:

١ـ عُبادة بن الصامت.. بن غَنم.

٢ـ أبو عبد الرحمن (يزيد بن ثعلبة البلوى حليف بنى غضية من بَلى) (يقال لهم القواقل).

ومن بنى سالم بن عمرو بن الخزرج:

١ـ العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن عجلان.

obeikandl.com

ومن بنى سلمة بن على بن أسد.. بن جُشم بن الخزرج:

١ـ عُقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام.

ومن بنى سواد بن غَنم.. بن سلمة:

١ـ قطبة بن عامر . . بن غنم بن حديدة.

ومن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بنى عبد الأشهل:

١ـ أبو الهيثم بن التيهان.

ومن بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس:

١ـ عويم بن ساعدة.

[لبث معهم مصعب بن عمير فأسموه المقرئ، ويلاحظ أن المقرانا هى مكان قراءة النصوص الدينية عند اليهود. راجع اليهود عقائدهم وعبادتهم لألان أنترمان] [أسماء الوفد وقبائله وعشائره عن ابن هشام ص ص٢٧٩ـ٢٨١].

***

السيرة النبوية لابن إسحاق (ت ١٥٢ هـ) كما نقلها لنا ابن هشام تشير بما لايدع مجالا للشك أنّه كان فى المدينة وما حولها عرب يهود، بل إنَّ خطاب النبى ﷺ عندما وصل المدينة قادمًا من مكة يشير لذلك بوضوح لا لبس فيه. ما الذى جعل عددًا من الباحثين المحدثين ـ إذًا ـ ينكرون ذلك، بل ويتحمسون أحيانًا لإنكاره ؟! إنها الظروف السياسية وبشاعة الهجمة الإسرائيلية على ديار العرب، وطرد الشعب الفلسطينى وسلبه أرضه وأمواله، ومن هنا عمد الباحثون المحدثون بوعى منهم أو بدون وعى إلى إنكار وجود يهود عرب و إنكار وجود عرب تهوَّدوا أى اعتنقوا اليهودية.

obeikandl.com

كما أن الحروب المتوالية التى خاضتها مصر ضد إسرائيل كان لها أثرها أيضًا فى تعمية الحقيقة رغم وضوح الآيات الكريمة التى تشير إلى مصريين تهوَّدوا أى صاروا يهودًا، فقد آمن السَّحرة (علماء مصر وكهنتها) بالإله الواحد (رب موسى وهارون) عندما ألقى موسى عصاه لتَلقَف ما يأفكون ورفضوا رفضًا تامّا عبادة إله غيره، إننا هنا إزاء مصريين (فراعنة) تهوَّدوا. حقيقة إن فرعون أمر بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف، لكن القرآن الكريم لم يشر إلى تقطيع أعضاء التناسل، ومعنى هذا أنهم كانوا قادرين على التناسل، فنسل هؤلاء إذًا مصريون تهوَّدوا أو مصريون تحولوا إلى اليهودية، إنهم كانوا على اليهودية رغم أنهم لم يكونوا من أبناء يعقوب (إسرائيل)...

وإذا تركنا النص القرآنى الكريم وعدنا إلى الدليل الأنثروبولوچى باستقراء الحاضر تلمسًا لمعرفة الماضى وجدنا كما ـ سبق القول ـ يهود الفلاشا الذين لم يهجَّروا من الحبشة إلى إسرائيل إلاّ فى تاريخنا هذا، ومعروف أنَّ الحبشة كانت تابعة لمُلك سبأ فى اليمن ولا نظن أن ملكة سبأ وقومها لم يتحولوا إلى اليهودية، فالقرآن الكريم يؤكد هذا. كل ما فى الأمر أنَّ اليمن لم تجد صعوبة فى دخول الإسلام لقربها من المدّ الإسلامى، بينما كان يهود الفلاشا بعيدين نسبيًا عن هذا المد. كان هناك إذن على عهد النبى ﷺ يهود يمنيون ومسيحيون يمنيون ويهود يمنيون اختلطت يهوديتهم بالمسيحية، ومسيحيون يمنيون اختلطت مسيحيتهم بيهودية، واعترى كل هذا شىء من الوثنية، المهم أنَّ الآيات القرآنية الكريمة تشير إلى عملية التحوّل هذه، ومن ذلك ﴿**فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ**..﴾ [النساء: ١٦٠]، فالفعل هاد يعنى هنا التحوّل إلى اليهودية، فعندما نتحدث عن اليهودية ـ إذن ـ لانتحدث عن عرق بنى إسرائيل وحده.

وكان النبى ﷺ بعد هجرته للمدينة يذهب إلى يهود (ليس اليهود العرب فى هذا السياق) فى مدارسهم ليدعوهم إلى الإسلام. فقد أخرج البخارى عن أبى هريرة قال «بينما نحن فى المسجد إذ خرج علينا رسول الله فقال انطلقوا إلى يهود فخرجنا معه حتى جئنا إلى بيت المدراس فقام النبى فناداهم يا معشر يهود أسلموا تسلموا، فقالوا قد بلّغت يا أبا القاسم، فقال ذلك أريد، ثم قالها ثانية، فقالوا قد بلّغت يا أبا القاسم ثم قال فى الثالثة: اعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإنى أريد أن أجليكم فمن وجد منكم بماله شيئًا فليبعه، وإلاَّ فاعلموا أنَّ الأرض لله ورسوله» [صحيح البخارى باب فى بيع المكره من كتاب الإكراه، نقلاً عن طنطاوى، بنو إسرائيل، ص٦٩].

وكطبيعة الخبر فى معظم الحالات عند المؤرخين المسلمين الأوائل، لا نعرف متى قال النبى ﷺ ليهود هذا ؟ ولا ما هى المناسبة ؟ ولا لأى نوع من يهود قال هذا ؟ ولا بعد أى غزوة ؟ وإن كان من المفهوم أنه قال هذا بعد هجرته للمدينة. ومن المفهوم أيضا أنه ﷺ من خلال نص هذا الحديث لم يكن يريد الاستيلاء على أموالهم وإنما كان يريد إجلاءهم أو شراء ما بأيديهم بمقابل يدفعه؛ لأن « الأرض لله ورسوله » فمن استطاع أن يبيع أرضه أو ممتلكاته منهم فليبع، إننا هنا إزاء صاحب دار يُريد إجلاء (غريب مستعمر). أما العرب اليهود فكانوا فى صف النبى ﷺ يقولون مقالته، قد يقول قائل: إن هؤلاء العرب لم يكونوا يهوداً وإنما حلفاء يهود، ولمثل هؤلاء نقرأ هذا الخبر«كان لنا جار من يهود من بنى عبد الأشهل»، إذن كان فى القبائل العربية عرب يهود [ابن هشام، جـ٢ ص٣٨]. كان إذًا فى بنى عبد الأشهل يهود.

واشترك اليهود فى مجموعهم. . . فى حسن استقبال صاحب الدعوة، وإن كان هناك بعض الاستثناءات [طنطاوى، ص ١٣٧].

ولا شك أن كثيراً مما ذكرناه آنفًا يصلح لتكراره هنا، لكن السؤال الذى يقتضيه السياق. وهو سؤال مُلح ومعضلة ما دام هذا كان هو الموقف الحقيقى لكل يهود يثرب وما حولها من يهود عرب ويهود غير عرب، من قدوم النبى ﷺ إليهم، وترحيبهم به، فما هذا الذى نقرأه فى كتب السيرة عن تذبيح بنى قريظة، ناهيك عن إجلاء بنى قينقاع بعد بدر مباشرة، وبنى النضير بعد أحد مباشرة، ويهود خيبر قبل فتح مكة ؟.

قبل الإجابة عن هذا السؤال نود إيراد الملاحظات التالية.

إن صحَّ ما ذكر بعض الباحثين فى الشأن اليهودى نقلاً عن كتاب كلاسيكى يسجِّل كل المآسى التى حاقت باليهود، ونعنى به كتاب صمويل أوسك Samuel Usque الموسوم باسم «عزاء عن بلايا إسرائيل Consolation for the tribulation of Israel» والمؤلف فى القرن السَّادس عشر نجده لم يورد أىَّ شىء عن قتل بنى قريظة، وإن صحَّ ما ذكره الباحث نفسه [د. بركات أحمد: محمد واليهود، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ص ص٤٣، ٤٤] من أنَّ المصادر اليهودية لم تشر إطلاقًا لمذابح أجراها النبى ﷺ لبنى قريظة، فإنَّ الأمر يدعو للعجب حقّا، ويدعو للتأمل والمراجعة وإعادة النظر أو على الأقل يدعو للتوفيق بين متناقضات شديدة العمق.

فإن قيل إن ما حدث لبنى قريظة كان فى عمق الصحراء فلم تعلم عنه جماعات اليهود الأخرى خارج شبه الجزيرة العربية شيئًا، وجدنا هذا القول غير صحيح؛ فبابل مقر الرياسة الدينية لليهود فى القرنين الثانى والثالث غير بعيدة، كما لم تكن الكوفة التى أقام فيها اليهود المطرودون من شبه الجزيرة العربية بعيدة، وكان هؤلاء اليهود من سلالة بنى النضير، وبنى قريظة، ومع هذا لم يسجلوا مثل هذه المذابح التى يذكر ابن إسحاق أنها جرت لهم.

ربما سمع ابن إسحاق هذه الأخبار من أبناء اليهود الذين أسلموا وأرادوا التنصُّل تمامًا من ماضيهم اليهودى بعد تبلور الإسلام كدين مستقل وبعد رسوخ دولته. نقول هذا بوضوح كامل لأن الدينين السَّابقين على الإسلام راحا يتنازعانه فترة طويلة؛ نظرًا لوسطيته المحكمة ونظرًا لتقارب شريعته مع الشريعة اليهودية. بل لقد ظلت هذه النغمة حتى القرن التاسع عشر، إذْ عكف المستشرقون اليهود أو ذوو الأصول اليهودية على المقارنة بين الشريعتين اليهودية والإسلامية، زاعمين أنَّ هذه الأخيرة منقولة من الأولى، مُغفلين أنَّ هذا التشابه ناتج عن أنَّ المصدر لكليهما واحد، ومُغفلين أيضًا أنَّ الشريعة الإسلامية صحَّحت ونسخت كثيراً مما ورد فى الشريعة الأولى مما هو معروف ولا مجال لتكراره هنا حتى لا نخرج عن سياق بحثنا.

ويكفى التنويه بهذا ليتابعه أولو الاهتمام والاختصاص، لكن كتابنا هذا موجه للقارئ العام والاختصاصى على سواء؛ لذا سنعتمد ما ورد فى سيرة ابن إسحاق كما قدمها لنا ابن هشام عند إجراء تحليلاتنا، لكن هذه الملاحظة ضرورية على أية حال.

***

قبل تتبع المواجهات مع يهود بنى قينقاع وبنى النضير، وبنى قريظة وخيبر، لا بد من توضيح بعض الأمور التى تُعين على الفهم:

١ـ من أهم الأعمال التى اشتغل بها اليهود التجارة حتى صار لبعضهم فيها شهرة كبيرة كأبى رافع سلام بن أبى الحقيق الذى كان يقال له تاجر أهل الحجاز. ويمكن أن يُقال إن تجارة التمر والشعير والقمح والخمر تكاد تكون وقفًا عليهم فى شمال الحجاز، كذلك اشتغل اليهود بالزراعة التى كانت المهنة الرئيسية لسكان القرى منهم، واشتغلوا بتربية

الماشية والدواجن، وكانوا فى جهات (مَقْنا) يشتغلون بصيد الأسماك، وكانت نساؤهم يشتغلن بنسج الأقمشة. ومن الصناعات التى برعوا فيها صناعة الصياغة التى برع فيها بنو قينقاع وصناعة السيوف والدروع وغيرها من عدد الحرب [طنطاوى، ص٦٨].

٢ـ كان يهود بنى قينقاع وبنى النضير، وبنى قريظة، ويهود خيبر أكثر ثراء بكثير من اليهود العرب، وكان أساس تعاملاتهم المالية معهم هو الرَّهن والرِّبا، ومفهوم طبعًا أنَّ الربا حرام فى الشريعة اليهودية، لكنهم أباحوها فى التعامل مع غير يهود أى مع غير بنى يعقوب الذين يدَّعون نسبتهم إليه.

٣ـ رغم عهود التحالف والولاء بين اليهود العرب ويهود بنى إسرائيل (يعقوب)، إلاَّ أن هؤلاء الأخيرين كانوا أكثر استعلاء باعتبارهم الجنس الأرقى، وقد ترددت عبارة النبى الإسماعيلى أكثر من مرة فى كتب السيرة النبوية إشارة إلى نبينا محمد ﷺ وقد سبق أن أشرنا لذلك. وقد غلبت على (يهود) روح الأقلية التى حرصوا على الاحتفاظ بها رغم حدوث زيجات بينهم وبين العرب اليهود ـ أحيانًا ـ زيجات تكون فيها الأنثى غالبًا من طرفهم، فيكون لذريتها وضع خاص لديهم. حالة كعب بن الأشرف مثلاً. وهو مثال واضح على ذلك.

لقد مضى ذلك الزمان الذى كان فيه المؤرخ أو الباحث يخشى أن يفسّر فيه الحدث تفسيرًا اقتصاديّا، فقد انهارت الشيوعية ولم يعد أحد يدعو إليها بشكلها الذى كانت عليه؛ لذا وتخلّصًا من هذا الضغط الأيديولوچى يمكن ببساطة أن نقول: إن المواجهات بين الأنصار (اليهود العرب الذين أسلموا) ويهود بنى قينقاع، وبنى النضير... إلخ كانت مواجهات لتحقيق العدالة الاجتماعية، وللتخلص من جسم غريب يدعى تفوقه تحت راية لا إله إلاّ الله، التى رفعها النبى الإسماعيلى (أى الذى هو نسل إسماعيل) الذى قال إنه للبشر كافة، وإن كان كونه إسماعيليّا ساعد على نشرفكرة الإسلام بين العرب الذين عُرف عنهم التمسك بانتمائهم العِرقى قبل أن يبسط الإسلام عباءته الواسعة على الجميع.

لم يستول النبى ﷺ على أموال بنى قينقاع وإنما عرض عليهم التعويض نظير الجلاء، وسمح لهم بنقل أموالهم. هذا واضح تمامًا فى كتب السيرة، إلاَّ أنَّ لغة هذه الكتب واصطلاحاتها ولهجتها عالية النبرة كثيرًا ما تُضل القارئ العام عن طريق

الحقيقة، ففى سياق حديثنا السَّابق أوردنا نصوصًا تشير إلى أنَّ النبى ﷺ قال ليهود ﷺ من لديه متاع فليبعه. أليس (الثمن) تعويضًا ؟!

وكلمة (غزوة) كلمة كبيرة بالنسبة لما حدث لبنى قينقاع لكن كتب السيرة درجت على استخدام هذه الكلمة لكل تحرك عسكرى يكون فيه النبى ﷺ، أمّا إن لم يكن فيه فهم يطلقون عليها سرية إلاّ إذا كان التحرك العسكرى كبيراً فهو غزوة سواء كان النبى ﷺ فيه أم لا.

لقد حاصرهم النبى ﷺ فى شهر شوال سنة ٢هـ، ومعرفة مكانهم ذو دلالة. لقد كان بنو قينقاع يقيمون داخل المدينة وبيوتهم تلاصق بيوت المسلمين. وأبدى يهود بنى قينقاع عدم الرضى لانتصار المسلمين فى بدر. وكانوا صاغة وأثرياء.

حاصرهم المسلمون (بمن فيهم اليهود العرب الذين أسلموا) خمسة عشر يومًا متتالية، فاضطروا للتسليم فتشفَّع لهم عبد الله بن أبىّ بن سلول (يهودى عربى، وسلول هى أمه والنسبة للأم شائعة بين العرب الذين تهوَّدوا أو العرب الذين كانت أمهاتهم يهوديات). كان من اليهود العرب ـ إذن ـ عدد يميل ليهود وهم الذين أطلق عليهم القرآن الكريم اسم المنافقين ـ كما أشرنا سابقًا ـ وكان عدد بنى قينقاع أربعمائة حاسر (بدون درع) وثلاثمائة دارع، وكان ابن سلول حليفًا لهم وقد عفا النبى ﷺ عنهم على أن يخرجوا من المدينة تاركين السلاح وأدوات صناعتهم، وقد انتقلوا إلى وادى القرى ومنه إلى أذرعات بالشام.

وبخروجهم خفت صوت حلفائهم من اليهود العرب.

ولما انخرط كعب بن الأشرف الطائى (عربى يهودى أمه يهودية) فى إعلان عداوته للمسلمين أمر النبى ﷺ بقتله، فقتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة وهو أبو نائلة وكان أخًا لكعب من الرضاعة، وعباد بن بشر والحارث بن أوس وأبو عبس بن جبر. وكان قَتله فى رمضان (٣هـ)، وقيل فى ربيع الأول من السنة نفسها (٣هـ)، كذلك قُتل أبو عفك على يد سالم بن عمير العامرى فى شهر شوال بعد عشرين شهراً من الهجرة. كان إخراج بنى قينقاع من المدينة إخراجًا لطابور خامس أو جواسيس، وكان إخراجهم أمراً ضروريّا لا بد منه لضرورات استقرار الدولة.

لقد كانوا صاغة وتجار سلاح، والأهم أنهم كانوا يسكنون المدينة وبيوتهم مجاورة لبيوت المسلمين. ألا يستطيعون أن يوزعوا السلاح أو يبيعوه بثمن بخس سرّا أو علنا؟! ألا يستطيعون شراء الذمم بأموالهم؟! ألم تعلمنا أمريكا أن التحكم فى حركة الأموال تجفيف لمنابع الإرهاب ؟! كل التار يخ تاريخ حديث. تتغير الأسماء والمصطلحات ويبقى المعنى واحدًا.

ننتقل إلى غزوة بنى النضير (ربيع أول سنة ٤هـ). ننقل من كتب التراث موجزًا لوقائع هذه الغزوة. وفضلنا هذه المرة الطبقات الكبرى لابن سعد (المعاصر لابن هشام) لتحرّيه الاختصار.

وكانت منازل بنى النّضير بناحية الغَرْس وكانوا حلفاء لبنى عامر. خرج إليهم النبى ﷺ يوم السبت فصلّى فى مسجد قباء، وتوجه إليهم طالبًا منهم أن يساعدوه فى دفع دية فردين من بنى كلب قتلهما عمرو بن أميّة الضّمرى، إلاّ أنهم همّوا بالغدر به بطرح صخرة عليه، وكان من رأى سلاّم بن مشْكَم ألاّ يفعلوا، وعلم النبى ﷺ بمكرهم فعاد إلى المدينة، فأرسل النبى ﷺ إليهم محمد بن مسلمة طالبًا منهم الخروج وأجّلهم عشرة أيام واكتروا بالفعل النياق للمغادرة، إلا أنَّ عبدالله بن أبى بن سلول حرّضهم على البقاء ووعدهم بالدفاع عنهم، فأرسل حُيى إلى النبى ﷺ إنّا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك، فحاصرهم الرسول خمسة عشر يومًا فاستسلموا وخرجوا ولحقوا بخيبر. ولم يخمّس النبى ﷺ أموال بنى النضير وإنما حبسها لنوائبه لكنه وسَّع منها على أصحابه. [ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج١، ص ٣٨٥ـ٣٨٧].

لكن طبيعة علم التاريخ عند المسلمين فى هذه المرحلة الباكرة جعلته مجرد خبر أو أخبار تُروى؛ لذا كان من الضرورى أن نلتمس معنى هذه الأخبار عند باحثين معاصرين فاخترنا كتاب فضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوى (بنو إسرائيل فى القرآن والسنة):

ـ بعد غزوة أحد تجرأ أعراب البادية على المدينة وعلى المسلمين. جاهر اليهود بسخريتهم من الدين الجديد، ووجدوا فى الهزيمة التى حاقت بالمسلمين ما جعلهم يثيرون النعرات العرقية، ويعاملون المسلمين معاملة قاسية مؤكِّدين على أنَّهم تابعون لهم (موال لهم) وليسوا أصحاب دين جديد.

ـ بعد غزوة أحد وما حاق بالمسلمين فيها اتبع النبى ﷺ سياسة الهجوم على القبائل التى تجرأت على الدولة الجديدة، فأرسل السرايا لبنى أسد وهذيل، وكان غزو بنى النضير فى إطار هذه الغزوات.

ـ يهود يرشدون أعداء المسلمين إلى مواطن الضعف فى المدينة، كما حدث فى غزوة السويق (الآنف ذكرها) بعد غزوة بدر.

ـ شماتة اليهود بعد مأساة الرجيع وبئر معونة.

ـ رفضهم مساعدة المسلمين فى غزوة أحد، ورفضهم المشاركة فى دفع دية قتيلين قتلهما عمرو بن أمية خطأ، غداة رجوعه من بئر معونة لأن القتيلين من بنى عامر حلفاء بنى النضير.

ـ إجلاء بنى النضير بوصفهم غرباء

أرسل النبى ﷺ محمد بن مسلمة إليهم وقال له: «اذهب إلى بنى النضير فقل لهم: إنَّ رسول الله أرسلنى إليكم أن اخرجوا من بلادى، فلا تساكنونى بها...» [طنطاوى، ص٢٨]، إلاَّ أنَّ ابن سلول (عربى تهوَّد) شجعهم على البقاء، فحاصرهم النبى ﷺ عشرين ليلة، فخرجوا حاملين ما يستطيعون حمله عدا السلاح متجهين إلى خيبر وأذرعات بالشام، وحزن لفراقهم عدد من اليهود العرب ممن عرفوا بالمنافقين.

وقد وزَّع النبى ﷺ أراضيهم على المهاجرين الذين لم يكن لهم أراض، وخصص قسمًا للكراع والسلاح ـ أى للدولة ـ وبذلك لم يصبح المهاجرون عالة، ولكن بعض الأنصار اشتكى فقرًا فأعطاه النبى ﷺ (ومن هؤلاء أبو دجانة، وسهل بن حنيف).

ـ هناك من أسلم من بنى النضير، يقال اثنان هما:

ـ يامين بن عمير.

ـ أبو سعيد بن وهب.

ـ وذريتهما إن كان لهما ذرية ذابت فى رحاب المسلمين.

إننا إزاء عملية تأميم وتوزيع أراض على المعدمين.

نتنقل الآن إلى بنى قريظة الذين كانوا يسكنون فى منطقة مهزور التى تقع على بعد بضعة أميال إلى الجنوب من المدينة [طنطاوى، ص٦٧]. لاحظ عبارة إلى الجنوب من المدينة أى أنهم أقدر على الاتصال بتجار مكة وسماسرتها.

إنَّ ما حدث مع بنى قريظة إن صحَّت روايته ليس غزوة مستقلة وإنما لا بد من تناولها فى سياق غزوة الخندق (الأحزاب) التى حاصر فيها كل أعداء النبى ﷺ المدينة حصاراً كان مضنيًا على أهل المدينة، وكانت عواقبه وخيمة على المهاجمين، ولو أنهم انتصروا فعلاً لهلك أهل المدينة وربما قُضى على الإسلام ومشروعه الحضارى الكبير، ولكنَّ الله فعَّال لما يريد. ولن نزيد فى الصفحات التالية كثيراً عما أورده ابن هشام نقلاً عن ابن إسحاق، ثم نورد تحليلاتنا، رغم أن المصادر اليهودية تشكك فى وقوع هذه الغزوة أصلاً.

بعد انسحاب الأحزاب وعودة النبى ﷺ إلى المدينة أمر من يؤذِّن فى الناس « من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا ببنى قريظة، ووصل النبى ﷺ عند بئر من آبارهم من ناحية أموالهم يُقال لها بئر أنا (أو أنَّى) وحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة.

وعرض عليهم كعب بن أسد القرظى (أحد زعمائهم) واحدة من ثلاث:

١ـ أن يتابعوا محمدًا ويصدّقوه، ولكنهم رفضوا قائلين لا نخالف حكم التوراة أبدًا، ولانستبدل غيره (وهنا لا بد من وقفة توضيحية فحكم التوراة يكاد يكون هو حكم القرآن أو بتعبير آخر شريعة القرآن، مع تصويبات أدخلها القرآن الكريم أخذ بها اليهود فيما بعد. وإنما الجديد بالنسبة لهم هو إصرار الإسلام على إبعاد كل نقيصة عن يسوع المسيح. المسألة إذن هى مسألة رغبة الأقلية العنصرية أو العرقية فى التفرد بوضع خاص).

٢ـ أو لنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد ﷺ وأصحابه لنحاربه، فرفضوا هذا الاقتراح رغم أنه كان لروح الاستشهاد السَّلبى هذا تراث عريق فى تاريخ بنى إسرائيل.

٣ـ أما العرض الثالث والأخير، فهو أن يهبطوا على محمد ﷺ وصحبه بجسارة يوم السبت، منتهزين أن المسلمين يكونون آمنين منهم فى يوم السبت؛ لأن اليهود «يحفظونه» أى لايؤدون فيه عملاً، ولكنهم رفضوا متمسكين بشريعة حفظ السبت.

وحاول الأوس التوسط لهم، فقال لهم النبى ﷺ ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا بلى. قال النبى ﷺ «فذاك إلى سعد بن معاذ» وكان سعد قد أصيب إصابة بالغة فى غزوة الأحزاب (الخندق) التى كان يعلم أن يهود بنى قريظة كانوا وراء تحريض المشركين عليها. فحكم سعد أن يُقتل رجالهم وتُقسم أموالهم وتسبى نساؤهم وذراريهم. وتمسك حُيى بن أخطب بيهوديته تمسكًا شديدًا وجلس فضربت عنقه، ويروى ابن إسحاق نماذج أخرى ليهود تمسكوا بيهوديتهم تمسكًا شديدًا، رغم الإغراء ورغم علمهم الأكيد بأنهم سيقتلون، وكان منهم نساء. ولاندرى أهذه أخبار حقيقية أم أن هناك ظروفًا عاصرها ابن إسحاق جعلته أكثر ميلاً لتسجيلها، أم أن من رووها له كانت لهم أهداف خاصّة. ولاتخرج رواية ابن سعد عن رواية ابن إسحاق، وإن كانت أكثر إيجازًا [ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج١، ص ص ٣٩٩-٤٠٠].

قلنا إنه رغم أن كتب السيرة تتناول غزوة بنى قريظة بوصفها غزوة مستقلة، إلاَّ أن هذا يقينًا غير صحيح فهى فى سياق غزوة الأحزاب. وفى ضوء هذا يمكننا أن نفهم العقاب الحاسم الذى حاق بهم ـ رغم أن المصادر اليهودية لاتذكره، ومن هنا تأتى ضرورة عرض وقائع ماجرى لبنى قريظة على عقلية أحد المفكرين المسلمين، وليكن شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوى، فلنعرض بعض العناصر التى أوردها فى سياق هذه الغزوة [د. محمد سيد طنطاوى، بنو إسرائيل فى القرآن والسنة، القاهرة دار الشروق، ٢٠٠٠].

ـ بعد غزوة الأحزاب التى كان يهود قد لعبوا فيها دور المحرّض والمؤلّب والمجمّع، توجه النبى ﷺ إلى بنى قريظة الذين تحالفوا فى المرحلة الأخيرة من الغزوة مع الأحزاب (تجمع القبائل) ضد المسلمين.

ـ حُيى بن أخطب من بنى النضير الذين هاجروا إلى خيبر هو الذى لعب الدور الأكبر فى التأليب على المسلمين فى غزوة الأحزاب.

ـ حُيى بن أخطب، هو الذى ورَّط بنى قريظة فى خيانة الرسول ﷺ والمسلمين أثناء غزوة الأحزاب.

ـ قام نعيم بن مسعود ـ بعد أن أسلم ـ بالإيقاع بين بنى قريظة والأحزاب وإثارة الشك فى نفوسهم. ونعيم بن مسعود هذا غطفانى (أى من غطفان).

ـ كان ليهود بنى قريظة حلفاء من الأوس؛ لذا أرسل النبى ﷺ إليهم أبا لبابة الأوسى الذى أعلمهم بالإشارة أنَّ مصيرهم الذبح إن هم نزلوا على حكم محمد، فطلب يهود بنو قريظة وساطة الأوس كى يخرجوا بأموالهم دون سلاحهم، كما خرجت بنو قينقاع بوساطة الخزرج (عبدالله بن أبى بن سلول). وقبل بنو قريظة أخيرًا حكم سعد بن معاذ الأوسى الذى كان قد أصيب بجرح قاس فى غزوة الأحزاب فحكم بقتل رجالهم وسبى نسائهم وأطفالهم وتقسيم أموالهم.

ـ رفض حُيى بن أخطب أن يسلم وفضل أن يقتل.

ـ بعد القضاء على بنى قريظة أمر الرسول ﷺ بقتل (أبى رافع سلاّم بن أبى الحقيق) الذى أعان الأحزاب بالمال الكثير فقتله فى خيبر رجال من الخزرج من بنى سلمة (يقارن هل هم من العرب اليهود؟).

ـ كما تم قتل أسير بنى رزام الذى تولى زعامة خيبر بعد مقتل أبى رافع سلام بن الحقيق لتشجيعه القبائل مرة أخرى على حرب محمد ﷺ. وحتى تكون الصورة كاملة فذكر أنه قد أسلم من بنى قريظة نفر منهم:

١ـ ثعلبة بن سَعْية.

٢ـ أسيد بن سعية.

٣ـ أسد بن عبيد (نفر بنى هَدل)

[ابن هشام، جـ٢، ص ص٣٩، ٤٠].

كان ابن الهيبان اليهودى الذى قدم من الشام ليقيم مع بنى قريظة قبيل الإسلام بسنين، رجلاً ليس هناك من يصلى الصلوات الخمس أفضل منه، وكان صالحًا تقيّا مستجاب الدعاء [ابن هشام، جـ٢، ص ٣٩].

لقد أسلم إذن من بنى قريظة نفر كانت لهم ذرية، وربما كان أبناؤهم هم الذين تناقلوا هذه الأخبار.

نتنقل بعد ذلك إلى فتح خيبر، وهى على بعد ثمانية بُرُد من المدينة، وقد غزاها النبى ﷺ فى سنة ٧هـ، وقدم جعفر بن أبى طالب ومن معه من الحبشة بعد فتح خيبر. وكانت صفيّة بنت حُيَى ممن سبى رسول الله ﷺ فأعتقها وتزوجها (لم يذكر ابن سعد أن النبى ﷺ بنى بصفية وهى فى عدّتها فمن أين جاء من أتى بعد ذلك بهذا الخبر ؟). وفى ابن سعد أيضًا أنَّ غزوة خيبر جرت فى ١٨ رمضان « فصامت طوائف من الناس وأفطر آخرون فلم يُعَب على الصائم صومه ولا على المفطر فطره» [ابن سعد، مج ١، ص ٤٢٢].

فى سياق غزوة خيبر حرَّم النبى ﷺ على المسلمين أكل لحوم الحُمر « فإنها رجس» وحرّم النبى ﷺ لحوم الحُمر الإنسية، ولحوم البغال، وكل ذى ناب من السباع، وكل ذى مخلب من الطير، وحرّم المجثّمة والخُلسة والنُّهبة [ابن سعد، مج١، ص ٤٢٥].

ويُلاحظ أن ما حرَّمه النبى ﷺ على أصحابه هنا هو محرَّم أيضًا فى سفر اللاويين فى التوراة، فهل نقول هنا إن النبى ﷺ أراد مجاملة يهود ؟! أيجاملهم وهو يُجليهم عن بلاده؟.

وفى غزوة خيبر سمع المقاتلون النبى ﷺ يقول: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يَسق ماءه زرع أخيه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقضى على امرأة من السَّبى حتى يستبرئها. ونظام الزواج عند اليهود يجعل فترة يحل فيها للزوج كلَّ شىء إلاَّ الوصول إلى الموضع المنشود، وبعد انقضاء هذه المدّة المحددة يحل له كل شىء بما فى ذلك التعامل مع الموضع المنشود، ونحن نسمى هذه الفترة تجاوزًا اسم الخطبة، لكن هذا غير صحيح؛ لأنه لا ينفصل عنها فى هذه المرحلة الأولى إلاّ بطلاق. وعندما دخل النبى ﷺ بصفية بنت حُيى بنت أخطب كانت فيما يقول ابن سعد «حديثة عهد بعرس » [ابن سعد مج ١، ص ٤٢٨]، أى كانت الفترة التى لايجوز لزوجها اليهودى أن يتعامل فيها مع الموضع المنشود، لكن النبى ﷺ دخل بها مباشرة فنسخ هذا الشرع اليهودى المرهق وغير العملى. وأصبح هذا هو المعمول به عند المسلمين وغير المسلمين بعد ذلك، فبعد عقد العقد يحل كل ما أحل الله.

ويهود خيبر كانوا يسكنون على بعد ثمانى بُرُد (من المدينة إلى جهة الشام وقد اشتهروا بغناهم وخصوبة أرضهم وكثرة مزارعهم، كما اشتهروا بضخامة حصونهم

ومناعتها [طنطاوى، ص١٧]. ومن أقوى حصون خيبر النَّطاة والصعب بن معاذ وناعم والزبير والقموص والوطيح وسلالم.. وعلى مقربة من خيبر كان يسكن قسم آخر من اليهود فى وادى القرى وتيماء وفدك [طنطاوى، ص٦٧]، وكانت معظم معاملاتهم مع غيرهم تقوم على المراهنات وتعاطى الربا. [طنطاوى، ص٦٨].

ـ بعد القضاء على بنى قريظة عقد النبى ﷺ مع أهل مكة صلح الحديبية فعم السلام وراح المسلمون ينشرون الإسلام فى كل مكان فى شبه الجزيرة العربية.

ـ تهيأ النبى ﷺ لحرب خيبر بعد أن عقد صلح الحديبية بعشرين يومًا، وكان هذا فى سنة ٧هـ فى شهر محرّم.

ـ كانت مغانم خيبر لمن حضروا صلح الحديبية وحدهم (أهل الحديبية هم الذين بايعوا بيعة الرضوان تحت الشجرة).

ـ خيبر مستوطنة زراعية، كانت أراضى خيبر واسعة الأطراف، وفيها من الحدائق والبساتين ما يحتاج إلى أيد عاملة كثيرة؛ لذا صالح النبى ﷺ أهل خيبر على بقائهم فيها بشرط أن يكون نصف ثمارهم للمسلمين.

***

والآن، كيف نعرض العلاقة بين محمد ﷺ واليهود مُركِّزين على علاقة التحالف والتعاون؟ بل كيف نقول: إن اليهود ساعدوا مساعدة حقيقية فى نشر الإسلام بشكل مباشر أو غير مباشر، ربما أكثر مما عملوا بشكل مباشر على عرقلته؟ لقد استندنا فى تحليلاتنا ـ على أية حال ـ على ما ورد فى السيرة النبوية لابن هشام، وعلى فهمنا لكلمة يهود بدون ألف ولام لنقول: إنها تدل على عرق أو جنس أكثر مما تدل على ديانة، وهو أيضًا ما ذهب إليه ابن منظور فى لسان العرب بقوله: إن يهود «قومٌ» بمعنى جنس أو عرق أما «اليهود» فهم من يؤمنون باليهودية، ومن خلال هذا واعتمادًا على السيرة النبوية لابن هشام أثبتنا أن معظم الأنصار كانوا من اليهود. ومنهجنا فى معظم البحوث التاريخية التى نشرناها هو استخدام الدليل الأنثروبولوچى أو استخدام منطق أحداث لاحقة أو حتى معاصرة لنا لإثبات حقائق تاريخية مضى عليها زمن طويل، فهل حدث ـ بعد أحداث السيرة النبوية ـ تحالف بين المسلمين

واليهود ؟ وهل عمل اليهود بعد ذلك وحتى تاريخنا الحديث هذا على نشر الإسلام بشكل غير مباشر؟ الإجابة واضحة وصريحة هى نعم، وهذه أمثلة تؤكد ذلك، وتؤكد بالتالى تحليلاتنا لأحداث السيرة النبوية. وكل هذا لا يعنى أبدًا أن من ادعوا أنهم يهود لهم الحق فى فلسطين، ولا يعنى أبدًا الالتفات والتنبّه وعدم مراعاة مصالح أوطان المسلمين، وهذا ما سنوضحه فى هذه السياقات أيضًا.

١- تحالف يهود إسپانيا ـ كما هو ثابت تاريخيّا ـ مع المسلمين وسهَّلوا لهم مهمة فتح الأندلس ورحَّبوا بدخولهم؛ لأنهم كانوا يتعرضون للتنصير الإجبارى، وكانوا مجبرين على الخدمة فى الجيش؛ لذا مدوا يد العون ليهود المغرب وللمسلمين الفاتحين [محمد عبدالله عنان، دولة الإسلام فى الأندلس، جـ١، ص ص ٣١ـ٣٣، طبعة مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية للكتاب]. لقد كان اليهود يُعاونون المسلمين فى كل فتوحهم فى إسپانيا [ص٥٠]، ونعم اليهود والنصارى بالتسامح الدينى الكامل [ص٦٥]، بل واقترب الفكر الدينى لبعض المفكرين اليهود من الفكر العقدى الإسلامى، ولعل المثال الواضح على هذا هو ابن ميمون [ص٢٠٦]، والمراجع فى هذا الموضوع أكثر من أن تدخل تحت حصر، لكننا تعمدنا الرجوع للموسوعة الفخمة التى كتبها محمد عبدالله عنان عن دول الإسلام فى الأندلس؛ لأنه رجع فيها للمصادر الأصلية باللغات المختلفة والمحفوظات ووثائق نادرة، ويكاد يكون كرّس حياته لهذا الكتاب الفخم.

ها هى حالة تآلف فيها اليهود مع المسلمين وأعانوهم على فتح بلاد شاسعة، بل وأعانوهم بشكل مباشر على نشر الإسلام الذى وجدوا أنه أقرب إليهم عقديّا، كما وجدوا فى الحكم الإسلامى رحابة وتسامحًا يفوقان الحد. لايختلف الوضع كثيرًا جدّا عن ترحيب يهود يثرب بعرقيهم العربى والإسرائيلى بقدوم النبى ﷺ إلى مدينتهم، فقد كانوا يترقبون أيضًا من قدومه علوّ شأن لهم فى هذه الدنيا (مصالح اقتصادية) إلى جانب قربهم العقائدى مما يدعو إليه.

٢- وعند طرد المسلمين من الأندلس طُرد معهم اليهود ولم يُسمح بالبقاء فى الأندلس إلا للمسلمين الذين قبلوا التحوّل إلى المسيحية، أما اليهود فلم يسمح لأحد

منهم بالبقاء حتى لو أبدى استعداده للمسيحية. لم تكن السلطات فى الأندلس تصدّق تحولهم إلى المسيحية، فلم يسمح لهم إطلاقًا بالبقاء، فخرجوا مع المسلمين المطرودين، ولجئوا إلى الشمال الإفريقى والدولة العثمانية عامة، واشتركوا مع المسلمين فى حركة الجهاد البحرى أو ما تسميه المراجع الأوروبية حركة القرصنة فى البحر المتوسط، نحن هنا إزاء تحالف إسلامى يهودى ضد أوروبا المسيحية.

٣- كانت الحروب الصليبية بمثابة مكنسة كبيرة كنست يهود أوروبا إلى العالم الإسلامى، وقد تعرَّض اليهود أثناء الحروب الصليبية لنكبات أشد مما واجهها المسلمون فيما عدا الطائفة التى عرفت بالطائفة السَّامرية [انظر التفاصيل فى كتاب رحلة بنيامين التطيلى ترجمه عن العبرية عزرا حداد. حققه ودرسه د. عبد الرحمن عبدالله الشيخ، أبو ظبى، المجمع الثقافى].

٤- اليهود الذين خرجوا من الأندلس واتجهوا للدولة العثمانية، عمد كثيرون منهم إلى التحوّل إلى الإسلام وعُرفوا بيهود الدونمة (أى المتحولون) وبقى كثيرون منهم أيضًا على دينهم. وخدموا فى الجهاز الإدارى العثمانى، وفى البحرية العثمانية، وبذلوا جهودًا هائلة لإفساد العلاقة بين العثمانيين وأوروبا، وأذكوا نار الحرب بينهما [انظر التفاصيل فى كتاب «العثمانيون فى أوروبا» تأليف بول كولز ترجمة ودراسة د. عبد الرحمن عبدالله الشيخ. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب].

٥- اليهود الذين تحوّلوا إلى المسيحية فى أوروبا حملوا معهم ـ حتى بعد تحولهم ـ فكرة الإله الواحد (يهوه) لم يتخلوا عنها، وبالتالى كانوا هم أساس الحركة المناهضة للتثليث فى أوروبا والتى انتشرت بعد ذلك انتشارًا كبيرًا فأنتجت نوعًا من المسيحية أقرب للإسلام عقائديّا.

٦- المسيحية الصهيونية أو بتعبير آخر المسيحية التى تركّز على العهد القديم (التوراة وملحقاتها) أصبحت من الناحية العقائدية قريبة جدّا من الإسلام، إلاّ أن مشكلتها هى إيمانها الراسخ بإعادة بناء الهيكل وإحياء عظام بنى إسرائيل [چورچ بوش: رؤيا حزقيال. ترجمة د. عبد الرحمن عبدالله الشيخ، القاهرة، دار المريخ].

٧- يعتقد المسيحيون الأصوليون (أو القائلون بالمسيحية الصهيونية) أنَّ اليهود فى إسرائيل سيتحولون إلى المسيحية قبيل عودة المسيح، ومن هنا كان التلاحم العقائدى

بينهم وبين اليهود، فى الوقت الذى يسخر فيه اليهود من عملية التحول هذه، واعتقاد المسيحيين الأصوليين هذا قائم على تفسيرات رؤيوية (تفسيرات لأسفار الرؤى الملحقة بالتوراة والأناجيل). المهم أن هذا التفاعل العقائدى لاينتج عنه من الناحية العقائدية سوى الإسلام، فالإسلام ـ عقائديّا ـ هو مزاج من اليهودية والمسيحية، مع تصويب لبعض مفرداتهما. المشكلة إذن هى مشكلة مصالح دنيوية وحقوق شعوب، وهذه مسألة تحلها المواجهات العسكرية أو المفاوضات أو كلتاهما. العالم كله إذن فى طريقه للإسلام. ذلك الدين العالمى الشامل الذى يؤمن بإله واحد هو «رب العالمين مالك يوم الدين». العالم كله فى طريقه لدينى الحنيف ثم يأتى من يدعونى لتركه متناسيًا أن ما حاق بالمسلمين ـ الآن ـ من تخلف إنما هو ناتج عن سوء فهم المسلمين للإسلام. أيأتى ـ فى هذا الظرف الذى نعيشه بالذات ـ من يفكك الإسلام ويحطمه ؟. أليس هذا إساءة تقدير للموقف. لقد قال عتبة بن ربيعة لأبى جهل عندما أساء هذا الأخير تقدير الموقف قبل غزوة بدر « يا معصفر استه» وفى رواية أخرى « يا مُزعفر استه». لكن أثمة مجال الآن وفيما بعد الآن لتحالف إسلامى يهودى؟ الإجابة هى بالتأكيد نعم. فكيف هذا ومتى ؟ سيكون هذا تحالفًا مع عرب ضد عرب ومع مسلمين ضد مسلمين، لتجفيف بلاد انتقامًا لما حدث فى فترة تاريخية طال عليها العهد، تنفيذًا لتوجيهات توراتية وتلمودية واضحة. وإن أصر الأصوليون المسيحيون على تحويلهم إلى المسيحية فى مطلع أى ألفية، فتحالفهم مع المسلمين وارد. قد لا تكون المحالفات العسكرية قائمة، وإنما سيكون السلاح هو الفكرة والرشوة، والمشروعات المشتركة، وعزل البلاد التى يريدون تجفيفها، وتقليل دورها. لكن دول المشرق العربى غدت واعية، وأظن أن مسيحيى أوروبا أصبحوا ـ على نحو ما ـ أكثر وعيًا من مسيحيى الولايات المتحدة باستخدام سلاح الفكر والمال. لا يستبعد حتى حلْف فلسطينى يهودى يُغطَّى بغطاء علمانى. لكن المؤكد أن الفلسطينيين على وعى كامل بأن السلام والتعاون الاقتصادى أمر قائم وواجب ومطلوب، لكن الوعى بالأهداف البعيدة أيضًا من الأمور المطلوبة. ولعل كتاباتنا فى العقائد المحرّكة تكون لبنة فى طريق هذا الوعى.

***